



وتمضي الأيام، ويهل علينا شهر رمضان المبارك الذي خصَّ الله سبحانه وتعالى بفضائل عديدة، وجعل له خصوصية يتفرد بها، فهو شهر القرآن والصوم والتكافل والتراحم، وتحقق فيه معاني وحدة الأمة.. وهو أيضاً شهر ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر.

يهل علينا رمضان والأمة الإسلامية تواجه أخطاراً وتحديات جمة، وتتعرض لمؤامرات كبرى، وهجمة شرسه من أعدائها؛ لتميزها والقضاء عليها.

وقد اقتنصت حكمة الله تعالى أن يظل الحق والباطل في صراع أبيدي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ويكتب الله الغلبة للحق ما تمسك به أصحابه، ومن هنا فقد شرع الله سبحانه وتعالى الجهاد ليرد العدوان، ويزيل الباطل، ويحمي العقيدة، ويحقق السلام الذي يقوم على العدل والإحسان والصدق.

وقد حققت الأمة الإسلامية انتصارات كبرى على طول الزمان وعرضه، ولم ترَ الدنيا في تاريخها معارك أشرف من معارك الإسلام ولا أسمى منها غاية، وقد خاضها رجال بواسل كانوا بحق جند الله تعالى، فكانوا رهبان الليل وفرسان النهار، فملؤوا الدنيا عدلاً ونوراً، وكان ذلك بعوامل النصر التي خطأها لهم ربهم في قرآن الكرييم، ونفذها رسول الله "صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" وخلفاؤه وأصحابه من بعده، وصدق وعد الله لهم؛ **{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلَفُنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ}**

كَمَا اسْتَحْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمْكِنَنَ لَهُمْ بِئْنَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي
شَيْئًا} (النور:55)،

فكانوا خير أمة أخرجت للناس؛ يأمرن بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويؤمنون بالله.

ولقد خاض الرسول "صلى الله عليه وسلم" وأصحابه والأجيال المسلمة من بعده معارك شتى، بدءاً من يوم الفرقان في بدر، مروراً بخبيث، وفتح مكة، وتبوك، واليرموك، والقادسية، وفتح بيت المقدس ومصر وبلاط الأندلس، وامتداداً إلى عين جالوت وحطين، وكان انتصارهم في كل معركة يرجع إلى عنصرين اثنين؛

الأول: تأييد الله تعالى لجنته بنصره المبين تحقيقاً لقوله تعالى: {إِنَّ جُنَاحَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ} 173 (الصفات)، وتأكيداً للشرط والجواب في قوله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرُكُمْ وَيُتَبَّتِ أَفْدَامُكُمْ} 7 (محمد)،

والعنصر الثاني: الأسباب العسكرية البشرية، والتي تنترع إلى: عوامل معنوية ومادية، وقيادة مؤمنة، وحرب عادلة، وقبل ذلك التجرد وإخلاص النية لله تعالى.

فالعقيدة الراسخة وتوحيد الصدفة والأخذ بالأسباب أهم عوامل النصر.

وقد يؤخر الله النصر؛ لأن الأمة لم تستكمل قوتها واستعدادها.

وقد يتاخر حتى تبذل الأمة آخر ما في وسعها من إمكانات وقوه؛ مصداقاً لقوله تعالى: {وَأَعْدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعُتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} (الأనفال:60).

وقد يتاخر لأن البيئة المسلمة لم تتهيأ بعد لإقامة العدل، والحق.

وقد يتاخر النصر لتعزز الأمة المسلمة صلاتها بالله تعالى، فتعلم أنه لا ناصر إلا هو سبحانه.

وقد يتاخر لأن الأمة لم تتجرد بعد في جهادها لله ولدعوه، فهي تقاتل لهوى، أو لمغمى تحققه، أو لسمعة أو لنعنة جاهلية.

وقد يتاخر لأن الباطل الذي تحاربه الفتنة المؤمنة لم ينكشـف زيفه للناس تماماً، فلو انتصر المؤمنون؛ فقد يجد له أنصاراً من المخدوعين في زيفه، فيقاومون الحق وينصرون الباطل.

وحرى بنا ونحن نستقبل هذا الشهر الفضيل أن نستلم روح النصر في رمضان، ونحقق مقوماته، حتى يعود مجد الأمة، وتتبـأ مقعد الريادة من جديد.

فهل آن لهذه الأمة أن تعود إلى النبع الصافي الذي شرب منه آباءها الأولون فعزـوا وسادوا؟

المصادر: